

هاجرة السوراد الوطنية

أم درمان

للأستاذ علي الهامري

أول قليلا عن تاريخها ومما لها . وقد يقرأ في كل كتاب إلا الكتاب الذي يتحدث عن البلدان وتاريخها ، وعما فيها من آثار قديمة أو منشآت حديثة . ولا أنس أبداً أني كنت مسافراً مرة في القطار الذي يبرح القاهرة إلى أسوان ، وكان بجانبى رجل في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ويبدو من هيئة حديثه أنه من ذوى الثراء ، وتشعب بنا الحديث فتونا حتى وصل القطار إلى مدينة النيا عروس الصعيد ، فأطل الرجل من النافذة ثم عاد وفي وجهه آثار الدهشة والاستغراب وقال بلمجة المأخوذ : غريبة إن في هذا البلد شوارع منظمة وأبنية جميلة ؛ قلت له : أمصرى أنت ؟ قال : نعم . قلت أين تعيش ؟ قال : في الإسكندرية ، قلت : أظنك تعرف روما وباريس ولندن معرفة دقيقة . قال نعم ، قلت : أما سافرت أبداً إلى الصعيد ؟ قال : لا ، والفكرة التي في ذهني عنها تختلف كل الاختلاف عما أراه الآن . قلت : ماهذا ، لست مصرياً وإن كان اسمك رمسيس الأول !!

كلا أنس أني لقيت رجلاً مثقفاً قضى في مدينة أم درمان أكثر من أربع سنوات ، وهو يسكن في الجانب الغربي منها جد قريب من دار المهدي العلمي ، وقد جرى مرة بيننا حديث في شؤون المهدي فمألني أن تقع دار هذا المهدي ؟

وفي بقيتي أن هذا الجهل يرجع إلى ضعف الشعور القومي في النفوس ، فإنه كلما قوى هذا الشعور أحس صاحبه أن كل شبر من أرض الوطن إنما هو ملكه ، حتم عليه أن يعرفه ، وأن يعرف تاريخه ، وطبعي أني لا أقصد أن كل المثقفين يجهلون معالم أوطانهم ، وإنما أعني أن الجهرة الغالبة لا تنمي بهذه الناحية العناية الواجبة ، وقد حملني على كتابة هذا القال ما لست في كثير من المثقفين عندنا من جهل بشؤون المدن السودانية ،

o o o

ينساب النيل الأبيض منعهدرا من المنطقة الاستوائية ، ويجري النيل الأزرق هابطاً من مرتفعات الحبشة ، ويمران بمدينة الخرطوم ، أحدهما على جانبها الغربي ، والآخر على جانبها الشرقي ، وما يكادان يصلان إلى نهايتها الغربية البحرية حتى يلتقيا ، ثم يسيران متناكرين مسافة قصيرة ، ويستطعم النظر

للشرقيين أزهده الشعوب في معرفة بلادهم ، فالحدث عنها ليس بالمدب المتعاضع عند أكثرهم ، وربما بقى الواحد من مثقفهم الدهر الطويل في مدينة من المدن دون أن يعرف كثيراً

قرون أخرى

ولكن على الأمة الإسلامية واجباً آخر وهو التمتع في دراسة المبادئ الإسلامية والتثبت بها والإخلاص لها ربما تتقدم بخطى ثابتة لاستكمال العورة ، وذلك لأن الضمير ربما يفقد الثقة في نفسه وفي مبادئه . وهل من شك في أن الأمة الإسلامية إن هي نخلت عن مبادئها فحصولها على القوة سوف لا يكون ذا مغزى كبير . وأمل من مظاهر هذا التخلي عن المبادئ السامية تحاذل الشعوب الإسلامية لأعراض نافذة خبيثة ، واعتبارات دبلوماسية مفرضة . ألا فلتتردد هذه الأمة الثقة بنفسها والإيمان بمبادئها حتى تثبت جذورها لمزاولة القوة في سبيل خير الإنسانية

وأخيراً تلخص مسألة « إنسان العصر الحاضر » عند إقبال في قوله :

المشوق ينقصه والمقل ينهشه

لا يستطيع قياد المقل بالنظر

دور الكواكب لا يمتحن على دوك

لا يستطيع هدى في عالم الفكر

المشوق هو الإيمان بالمبادئ العليا . والمقل هو التقدم

في العلوم والفنون . والنظر هو الشعور بالمسئولية أمام الله

محمد يوسف

الخليفة التمايش حبيب الى الناس السكى فيها ، فبنيت الدور ،
واتسع عمرانها . وكل منازلها طابطة واحدة إلا النادر القليل ،
وفيها مبان كثيرة بالحجر على النظام الحديث ، وقد كان سكان
المدينة قبل المدينة ٤٠٠ ألف نسمة ، ثم تناقص هذا العدد إلى
٢٥ ألف في سنة ١٩٠٣ ، أما عدد السكان - الآن حسب آخر
إحصاء - فهو نحو ١٣٧ ألف نسمة

ويحترق أم درمان شارع طويل يسير فيه الترام يتبدى من
الجسر الفاصل بينها وبين الخرطوم ، وينتهي في الجانب الشرق
منها حيث يسير قليلا على النيل . أما غربها وشمالها فصحراء لانبت
فيها ولا ماء . ويقع جبل كررى المشهور في التاريخ شمالها ،
والهابط منه إلى المدينة يأخذ في شارع يسمى بهذا الاسم أيضاً
وفي أم درمان مدارس حكومية وأهلية ، وسطى ، وثانوية ،
وأولية ، فيها مدارس الأحفاد ، وهي مدارس ذات فضل لا يتكر
على السودان ، والمدرسة الأهلية ، وفيها مدارس الراهبات للبنات
وهي روضة وابتدائي وثانوى . وهذه المناسبة أذكر أن السودانيين
غير متحمسين كثيرا للتابع البنت . وفي ظاهر أم درمان من
الناحية الغربية يقوم بناء المعهد العلمى ، وهو معهد قام منذ
أربعين سنة تقريباً ، وكانت الدراسة في مسجد أم درمان الكبير
وانتقلت قريباً إلى هذه النار الجديدة ، وفي المعهد الآن نظامان :
نظام قديم ، ونظام جديد تشرف عليه الحكومة إشرافاً كلياً ،
تضع له المناهج ، وتعين المدرسين ، والمهد ابتدائي وثانوى وعالى ،
ومنه يتخرج حاملو الشهادة العالمية على نظام الأزهر القديم ، وهم
يؤدون الآن مهمتهم في السودان بمجداة وإخلاص ، ويراد أن
يكون في المعهد - بمد الثانوى - كليات ، على نظام كليات الأزهر ،
ولا تزال المعاهد في الأقاليم ترتبط بهذا المعهد ارتباطاً تاماً ، وفي
هذا المعهد يقول الشاعر التيجانى يوسف بشير :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بمبقرى شبابه
نعم البقاء إليك في أقداره من ناد مجدك في قديم كتابه
وأفأض فيك من الهدى آياته ومن الحموى والسحر مل نسابه
اليوم يدفعنى الحنين فأشقى ولهان مضطرباً إلى أعتابه
سبق الحموى ميني في مضاره وجرى وأجفل خاطرى من بابه
ودفنت فض سهاى تحت ظلاله ودفنت بيض سنى في محرابه

السطحى أن يميز بينها حيث يفصلها خيط دقيق ، ولكن هذا
التناكر لا يستمر طويلاً فيختلطان ، ويسيران ممتزجين ، وتقع
الخرطوم بينها ، وتقع الخرطوم بحرى على جانب النيل الأزرق
الشرقى ، أما أم درمان فتقع على الضفة الغربية للنيل الكبير ،
وقبل النقاء النيلين تقوم حدائق جميلة تسمى حدائق « القرن »
وهي من أحسن الأماكن وأطيبها هواء ، وفيها يقول
الأستاذ العقاد :

تغير حلمى بالجزيرة وقفى بالقرن
حلمان حظها خيالاً درن حظ الأعين
مادمت بينها فأنا -ائل عن مسكنى

وبمجهنى قول أحد الكتاب السودانين يصف النقاء
النيلين عند القرن ، إذ يقول : (هل استتمت بذيك الرأى
الطبيعى البديع الساحر ؟ مرأى ملتقى النيلين الحبيين ، اقدانى
أحدهما ينساب من أقصى الجنوب ، والآخر ينحدر من أقصى
الشرق ، فالتقيا منذ الأزل في هذا المكان ، بمد هاتيك الرحلة
الطويلة ، فأصبح هذا المكان مكان التقائها علماً مقروناً باسمها ،
أنها قد التقيا عند هذا المكان ، واقترنا في شوق ، بل تصالفاً
بجسمها ، أنها لم يفكرا في الفكاك من هذا الاقتران ولم يفكرا
ولما التقينا قرب للشوق جهده حبيين فاضاً لوعة وعتاباً
كأن حبيبا في خلال حبيبه تسرب أثناء المناق وناباً
ولشد ما أجهنى تمثل الكاتب بهذين البيتين في هذا الموضع
ويصل بين الخرطوم وأم درمان جسر جميل ، أقيم سنة ١٩٢٨ .

أما مدينة أم درمان فهي مدينة كبيرة مبانها فسيحة ، وشوارعها
متسعة . وأول من عمر أم درمان الشمالية حكومة الهدية ، أما
جنوبها فكان حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملى لاشجر فيه ،
وكان يسكن هذه الحلة الأهليون من (الفتحاح) وهم سكان
الخرطوم الأصليون كذلك ، وكانت لهم منازل متفرقة على شاطئ
النيل الأبيض الغربي ، والفتحاح من قبائل الجموعية ، وهم
ذخراهم من الجمباب ، والسروراب ، والجليلين والبرقاب ،
والرباطاب ، والشايقية ، ينتسبون إلى النباس بن عبدالمطلب رضى الله
عنه . وقد استولى المهدي على أم درمان سنة ١٨٨٥ م ولما جاء

وسنار كانت عاصمة مملكة الفونج ، وهي مملكة شهيرة في التاريخ ،
وبعضهم ينسب هؤلاء إلى النمر بن يزيد بن عبد الملك ، هربوا إلى
السودان حين أساء المباشيون معاملة الأمويين

والوقت الذي لا نجد فيه قصيدة واحدة في دواوين الشعراء
عن أم درمان ؛ نجد قصيدة لأحد شعرائهم المشهورين في باديس
مع أنه لم يرح السودان !

وقد أهدى إلى بعض الأصدقاء قصيدة في أم درمان مخطوطة
لأحد الشعراء ، كما قرأت أغنية نذاع من محطة الإذاعة عن أم
درمان وهي أغنية جميلة

(وبعد) فهذه لمحة تعرف ، وفيها بعض الغناء

على العمارة

ولقيت من عنت (الزبود) مشاكلا

وبكيت من (عمرو) ومن إعرابه

وطلاب المهدي يبقون - الآن - نحو السبائة طالب ، أما
مدرسه ففتحو الأربعين ، منهم منتدبون من الأزهر الشريف
وهم خمسة ، ومنهم سودانيون متخرجون في الأزهر ، وبعضهم
من خريجي كلية غردون أو المدارس الثانوية ، وأكثرهم
متخرجون في المهدي ذاته ، وشيخ المهدي الآن مفتي السودان
السابق الشيخ أبو شامة عبد الحمود ، وهو سوداني ، وكل من
سبقه في مشيخة المهدي كان من السودانيين أيضا

وفي أم درمان أكثر دور الأحزاب السياسية ، وهي من
وهي من هذه الناحية تمتاز عن الخرطوم . كما تغد إليها السلع من
كل أنحاء السودان ، وفيها يبنون كثيرين ، وهنود ، وشوام ،
ويونان ، ومصريون ، وكثير من التجارات في أيدي هؤلاء .
وأهل أم درمان ، كأهل السودان جميعا ، متدينون ، يؤدون
الصلوات في أوقاتها ، ويخرجون الزكاة ، والأمن والأمانة
متوفران عندهم

وفي أم درمان تقوم قبة المهدي ، وفيها بعض آثاره ومخلفاته ،
وأمامها ساحة كبيرة مخطوطة بسور مرتفع مستطيل طوله ٤٦٠
ياردة ، وعرضه ٣٥٠ ياردة ، وفيها محطة الإذاعة السودانية ،
ومحطة الأرسال

وقد لفت نظري وأنا أطلع في دواوين الشعراء السودانيين
أنى لم أجد لأم درمان موضعا في أشعارهم ، مع أنى وجدت قصائد
في مدن كثيرة من مدن السودان ، في الأبيض عروس الزمال ،
وفي النهود ، وفي كسلا ، وفي سنار حيث يقول شاعرهم :

زرت سنار والجوائح أمرى زفرات هدت قوى الصبر هذا
أسمدتنا فيها النداء دموع لم نختنا بالأمس في دار سمدى
إن عا الدهر حسنها فلقد كانت مرادا للعتقين وخلافا
كم لها في الرقاب منا ديون وعزير على ألا تؤدى
وجيل لأهلها عند أهل ويد بالصنائع النر تئدى
وهي قصيدة تذكرنى بقصيدة البحترى في إيوان كسرى ،

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

رسالة

لصاحب لفزة لكتور عبد الوهاب عزم بك

سفير مصر في الباكستان

تمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة